التضمين النحوي في الأفعال

وأثره في تعدد أوجه الإعراب وتنوع التفسير القرآني

دراسة تحوية دلالية

د. وليد بن حامد بن عبدالفتاح

التضمين النحوي في الأفعال

وأثره في تعدد أوجه الإعراب وتنوع التفسير القرآني

دراسة نحوية دلالية

إعداد

د. وليد حامد عبد الفتاح علي

المستخلص:

تقوم هذه الدراسة على إثبات محدودية الدلالة للكلمة إذا لم تُسلك في نظم أو تُدرج في عبارة، فالعبارة والنص هما روح الكلمة وكشف الغمام عن أسرارها، فكلما تنوَّع الأداء وقَوِيت الحبكة النصية، كثرت مدلولات الكلمة وتنوعت معطياتها. وتعدّد المدلول للكلمة الواحدة باختلاف السياقات يُعرف بالتضمين النحوي، حيث يُضمَّن اللفظُ معنىً مغايراً إذا ما أُدرج في سياق جديد وعبارة أخرى ــ وتختص هذه الدراسة بالتضمين النحوي في الأفعال القرآنية، وما يحدث من أثر لذلك في المعاني والتفاسير المستخلصة للآية الكريمة، وهو ما ينتج عن تغيرٍ في قضايا نحوية تبعاً لتغير الدلالات، فالألفاظ مغلقةٌ على معانيها، وأغراضها كامنة فيها وإنما تنكشف معاني الألفاظ عندما تُسلك في نظم وتندرج في سياق ذي غرض يديره الكاتب على طريقته ليمتلك قلب القارئ ويستحوذ على مشاعره ووجدانه.

هدفت هذه الدراسة ــ تحديداً ــ إلى بيان ظاهرة التضمين النحوي بالأفعال، وأثرها في تعدد أوجه الإعراب، وتنوع التفسير القرآني، ولتمام الفائدة أفردت مبحثاً لعرض نماذج قرآنية تُثبت ما يهدف إليه البحث وتُزيل إبهامه، ثم خاتمة أوجز فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث تليها قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتْ عليها الدراسة.

مقدّمة

الحمد ﷲ الذي أنزل القرآن بلسان عربيٍّ مبين، فأعيت الألباءَ مناقضتُه، وأعجزت الفصحاءَ مناقضتُه، وأصلّي وأسلم على النبي الكريم أحمد- صلى الله عليه وسلم- تسليماً كثيراً، وبعد فإن الدراسات والأبحاث في معين القرآن الكريم لا تنتهي ولا تنفد، فمعجزاتُ عباراته، وعجائب ألفاظه وأسرار معانيه وبيانه لا حد لها. ويُعدّ التضمين ركناً ركيناً يُعتمد عليه في فهم مرامي النصوص، ودلالات الألفاظ في سياقاتها، إذ الأصل تعدد المعاني للفظة الواحدة باختلاف سياقاتها التي أدرجت فيها، وما يستوحيه القارئ في هذه العصور وتلك الأجيال المتأخرة عن عهد استقامة اللسان هو فقط الدارج الشائع، وسبب ذلك انقطاع تلك الأجيال عن لغتها مما جعل الحظ منها يسيراً، وتسبب في قصور الفهم عن معانيها وتخلف مدارك العقل عن مراميها. وقد أطبق كثيرٌ من النحاة على تصويب العمل نحو حروف المعاني عندما تتنوع مع الفعل بتنوع السياقات، فيقولون هذا الحرف جاء على معنى حرفٍ آخر، إلا أن نحاة آخرين لم يوصفوا بقلة قرَّروا، وجوَّزوا أن يكون الفعل قد تضمَّن معنىً لفعل آخر، وهو ما نص عليه كثير من المفسرين ــ السبب الذي جعل الباحث في هذه الدراسة يختار هذا الموضوع دون غيره.

فعندما يقول الله تعالى: (وَنَصَرْنَاهُ مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) [1] نجد عبد القاهر الجرجاني في دلائله [2] ذكر أن (من) هنا بمعنى (على) بينما يقرر الأخفش في الجنى الداني[3] أن الفعل (نصرناه) مضمن معنى فعل آخر، وهو (نجَّيناه) وهو أظهر وأصنع؛ لأن النصر المتعدِّي بـ(على) يفيد الغلبة بيد أن المعنى هنا هو النجاة من مكرهم وسجنهم ومؤامراتهم، فإذا أفْلَتَ من أيديهم ليتابع مسيرة دعوته فذاك من صور النصر، لكنه ليس في صورة نصر التمكين والغلبة والظهور.

ولكي تتضح الصورة، وترسو الفكرة في ذهن القارئ جعلتُ الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث ثم الخاتمة تتلوها الفهارس.

فكان المبحث الأول: الفعل في العربية بين التعدِّي واللزوم

والمبحث الثاني: التضمين، دراسة في المصطلح والمفهوم.

والمبحث الثالث: صور تطبيقية للتضمين النحوي وأثره في تعدد التفاسير.

ثم الخاتمة، وترصد فيها أهم ما توصلتْ إليه الدراسة من نتائج، ثم مجموعة الفهارس التي تخص تلك الدراسة، والله أسأل أن ينفع به، ويوفقنا إلى خير العمل، وأجزل الثواب.

---

(1) سورة الأنبياء ٧٧

(2) دلائل الإعجاز (٢٠٢).

(3) الجنى الداني (٣١٣).

المبحث الأول: الفعل في العربية بين التعدِّي واللزوم.

الفعل في جميع اللغات هو مصدر التعبير ودليل النشاط والحركة، ولا تتنوع الدلالات وتعدد المعاني إلا بفضل الفعل؛ إذ هو رمَّانة ميزان الجملة وعصب التركيب، وهو العامل في غيره من المعمولات، وهو الأساس الذي قامت عليه نظرية العامل النحوية التي بُني عليها علم النحو، ونستطيع القول بأن كل فعلٍ له عناصر تجتمع كلها في حمل رسالته وبيان دلالته، وهي عناصر: البنية، والصيغة، والتعدِّي واللزوم، والاشتقاق والتصريف، والزمن، والحدث، وحروف المعاني التي تلازم وتكشف هويته.

ولعل أبرز القضايا النحوية المتعلقة بدلالة الفعل وظاهرة التضمين هي قضية التعدِّي واللزوم، فالفعل - كما هو مقررٌ عند علماء النحو- إما أن يكون متعدِّيا أو يكون لازماً، وتعدية الفعل سماعية، فما سُمِعت تعديته بحرف لا يجوز تعديته بغيره، وما لم تسمع تعديته لا يجوز أن يُعدَّى بهذه الأسباب إلا على وجه من التضمين ، والتضمين في الفعل موضع شريف، أكثر الناس يضعف عن احتماله لغموضه ولطفه، والمنفعة به كبيرة، والاستناد إليه مُجْدٍ، وهو مَعْلم من معالم سداد عقول أصحابه، دلَّ على فضيلة لغتهم، وأن في طباعهم قبولاً لها[1]

---

(1) ينظر: التضمين في القرآن الكريم للدكتور/ محمد نديم فاضل ــ مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع ١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٥م ط١.

١/ ١٧٧

واللزوم والتعدِّي قضية لغوية عامة لا تختص بالعربية فحسب، وهي قضية سماعية لكن ذلك لا يعني أن تكون هناك محاولات لفهم تلك الحقيقة، ومحاولة الوصول إلى المعايير التي قامت عليها، وقد اتجه النحاة إلى ضبط هذه الظاهرة بمعيار وصول الفعل إلى مفعوله، هل هو وصول مباشر، أم عن طريق واسطة الحرف؟.

لكن ما معيار أن يكون المفعول منصوباً في نحو: (كتب زيدٌ الرواية) ومجروراً في نحو: (لعب زيدٌ بالكرة)؟ فالكرة من حيث المعنى هي المفعول الذي وقع عليه حدث اللعب ــ وما يدلُّ على أن الفعل (لَعِب) متعدٍّ ــ وإن كان لازماً عند النحاة ــ قول ابن جني: "واعلم أن الفعل إذا أوصله حرف الجر إلى الاسم الذي بعده وجرَّه الحرف فإن الجار والمجرور جميعاً في موضع نصب بالفعل الذي قبلهما"[1] وقوله في سياق آخر: "الفعل في التعدِّي إلى المفعول به على ضربين: فعل متعدٍّ بنفسه، وفعل متعدٍّ بحرف جر، فالمتعدِّي بحرف الجر نحو قولك: (مررت بزيد، ونظرت إلى عمرو، وعجبت من بكر) ولو قلت: مررت زيداً ونظرت عمراً وعجبت بكراً فحذفت حرف الجر لم يجز ذلك إلاّ في ضرورة شعر، غير أن الجار والمجرور جميعاً في موضع نصب بالفعل الذي قبلهما"[2] وقد يقع المفعول الثاني في هذا القسم جاراً ومجروراً كقولك: اخترت عمراً من الرجال، وجعلت المتاع في الوعاء.

---

(1) سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني ــ دار القلم ــ دمشق ط١ ، ١٩٨٥ ــ تحقيق د/ حسن هنداوي ــ ١/ ١٣٠.

(2) اللمع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني ــ دار الثقافة ــ الكويت ، ١٩٧٢ ــ١/ ٥١ .

لذلك نستطيع القول بأن الفعل الذي يتعدّىٰ إلىٰ مفعوله بحرف الجر هو في الحقيقة فعل متعدٍّ.

المبحث الثاني: التضمين، دراسة في المصطلح والمفهوم:

أولاً: التضمين لغة: من ضمَّن الشيء أودعه إياه كما تودِعُ الوعاءَ المتاعَ، والميتَ القبرَ[1].

فالتضمين هو التفعيل من ضمَّن، وهو جعل الشيء في ضمن الشيء مشتملاً عليه [2].

ثانياً: التضمين اصطلاحاً: ذكر السيوطي أن التضمين هو إعطاء الشيء معنىٰ الشيء ويكون في الحروف والأفعال والأسماء، قال: وأمّا الأفعال فأن يضمن فعل معنىٰ فعل آخر فيكون فيه معنىٰ الفعلين معاً، وذلك بأن يأتي الفعل متعدّيا بحرف ليس من عادته التعدّي به فيحتاج إلىٰ تأويله أو تأويل الحرف ليصح التعدِّي به واختلفوا أيُّهما أولىٰ، فقال أهل اللغة وقوم من النحاة التوسع في الحرف، وقال المحققون التوسع في الفعل لأنه في الأفعال أكثر[3].

---

(1) انظر لسان العرب لابن منظور ــ دار المعارف باب (ضن) مادة ضمن. ٤/ ٢٨/ ٢٦١٠.

(2) التوقيف علىٰ مهمات التعريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي ــ دار الفكر المعاصر، دار الفكر ــ بيروت، دمشق ط (١) ١٤١٠هـ ــ تحقيق د. محمد رضوان الداية ص١٨١.

(3)) الاتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٧٤م - ١٣٩٤هـ، ٣/ ١٣٦

وقد أصدر مجمع اللغة العربية قراراً بحق التضمين [1] وهو: ((التضمين أن يؤدي فعل أو ما في معناه مؤدَّىٰ فعل آخر أو ما في معناه، فيعطىٰ حكمه في التعدية واللزوم، ومجمع اللغة العربية يرىٰ أنه قياسيٌّ لا سماعيّ بشروط ثلاثة:

الأول: تحقق المناسبة بين الفعلين أو ما في معناهما.

الثاني: وجود قرينة تدل علىٰ ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس.

الثالث: ملاءمة التضمين للذوق العربي. ويوصي المجمع ألاّ يُلجأ إلىٰ التضمين إلاّ لغرض بلاغي.))

وقد أبدع الدكتور محمد نديم فاضل عندما تحدث عن التضمين بعبارات كعقد اللؤلؤ المنتظم حيث قال: والتضمين من أنزه الفصول في اللغة العربية، فإذا تأملته عرفت منه وبه ما لحروف المعاني من أسرار يكشفها لك...، ثم قال: وإجادة العربية والحذق فيها والتمكن من ناصيتها يفتح علىٰ الدارس مغاليقها، ويكشف القصيّ من معانيها، والتضمين في هذه اللغة الشريفة دليل سعتها ومرونتها، وغلبة حاجة أهلها إلىٰ التصرف فيها، والتركّح في وجوهها ونواحيها، فالكلمة فيها كثيرة الدلالات، وتختزن الكثير من المشاعر والأفكار فإذا أثبتنا معنىٰ لظاهر اللفظ يقبله السياق فلا حرج في التماس

---

(1)) هو قرار مجمع اللغة العربية في القاهرة في دور انعقاده الأول، وقد وافق أكثر أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة علىٰ هذا النص: انظر مجلة مجمع اللغة العربية : ١/ ٣٣.

النظير من كلام العرب، لأن النظير يُؤنَسُ به، فأما ألا يَثْبت المعنى إلا به فلا. ولسنا ندع ظاهراً له وجهٌ من القياس لغائب ليس عليه دليل[1]

والتضمين ظاهرة لغوية نحوية، فهي تمسُّ المعاني المحتملة للفظ من جهة وتختلف بها التراكيب والوظائف النحوية من جهة أخرى. وهي تلحق الأسماء والأفعال والحروف، إلا أن هذه الدراسة تختصُّ بالتضمين في الأفعال.

والأفعال غنية بالمعاني، متنوعة الدلالات، لكن الإفصاح عما ترمي إليه لا يتأتى إلا في سياقاتها النصية وجملها التعبيرية .

ومصطلح التضمين مصطلح قديم، ذكره المفسرون في كتبهم عندما تختلف دلالة الكلمة عما هو معتاد عليها في جل السياقات، وأغلب النصوص، ففي قوله تعالى: (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ)[2] قال الزركشي: ' ضمن فرض معنى أصفى'[3]، وفي قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ)[4] قال الزركشي: ' عدَّاه لتضمنه معنى كشف الفزع

---

(1)) التضمين في القرآن الكريم للدكتور/ محمد نديم فاضل ١/ ١٢

(2) سورة الأحزاب ٣٨

(3) البرهان ٤/ ٣٤١

(4) سورة سبأ ٢٣

عنه[1] وفي قوله تعالى: (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً)[2] قال العكبري[3]: وقيل أجرا مفعول به لأن (فضل) تضمن معنى (أعطى)، وذكر الآلوسي[4]: أجرا مفعول به لتضمنه معنى الإعطاء. وفي قوله تعالى: (إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً) [5] قال العز بن عبد السلام[6]: ضمَّن تفعلوا معنى (تُسْدوا، أو توصلوا) لإفادة المعنيين.

وأول من قدَّر التضمين البياني هو السعد أخذا من عبارة وقعت للزمخشري في الكشاف، كما جاء في حاشية السجاعي على القطر لابن هشام.[7]

وقد بالغ ابن العربي في الهجوم على النحاة زاعما أنهم لم يلتفتوا للتضمين في الفعل، وحصروا جهدهم في إحلال الحروف بعضها محل بعض، وهو ما ينافي الكم الهائل مما رصده النحاة من ظاهرة التضمين في مؤلفاتهم، ولعله كان يتكلم عن نحاة عصره، فقال: وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال، وجهلت النحوية هذا فقال كثير منهم: إن

---

(1) البرهان ٣/ ٣٤١

(2) سورة النساء ٩٥

(3) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٨

(4) روح المعاني ٣/ ٥/ ١٢٣

(5) سورة الأحزاب ٦

(6) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، طبعة قديمة لم أقف على تفاصيلها، ص ٥٨

(7) ذكر ذلك الدكتور محمد نديم فاضل في كتابه التضمين النحوي في القرآن ١/ ١٠٤

حروف الجر يبدل بعضها من بعض، ويحمل بعضها معاني البعض، فخفي عليهم وضع فعل مكان فعل، وهو أوسع وأقيس، ولجوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال."[1]

وإذا تفقدنا النحاة الذين أثبتوا تلك الظاهرة وعُنوا بها في شروحاتهم نجدهم كثيرين لا يسع المقام ذكرهم، فمنهم على سبيل المثال ابن يعيش الذي قال[2]: والتحقيق في ذلك أن الفعل إذا كان في معنى فعل آخر، وكان أحدهما يصل إلى معموله بحرف والآخر يصل بآخر، فإن العرب قد تتسع فتُوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذاناً بأن هذا الفعل بمعنى ذلك الآخر وذلك كقوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) [3] وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنما: رفثتُ بها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدِّي أفضيت بـ إلى جئت بـ إلى إيذاناً بأنه في معناه

وقال ابن جني[4] اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه.

---

(1) أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه، وعلق عليه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط٣ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ١/ ٢٤٣

(2) شرح المفصل ٨/ ٢/ ١٥

(3) سورة البقرة ١٨٧

(4) الخصائص ٢/ ٣٠٩

وقال ابن هشام [1]: قد يُشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضميناً، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين وقال ابن القيم [2] في قوله تعالى: (عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ)[3] يُضَمِّنون يشرب معنى يروي فيعدونه بالباء التي تطلبها فيكون ذلك دليلاً على الفعلين أحدهما بالتصريح به والثاني بالتضمين والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار، وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها، وهذا أحسن من أن يقال: يشرب منها فإنه لا دلالة فيه على الري، وأن يقال يروى بها لأنه لا يدل على الشرب بصريحه وعلى الريّ عن طريق الباء فتأمله

وقال ابن تيمية [4] والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعدِّيه تعديته ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون في قوله تعالى: (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ)[5] أي مع نعاجه... والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه.

---

(1) مغني اللبيب ٢/ ٧٦٢

(2) بدائع الفوائد ٢/ ٢١

(3) سورة الإنسان ٦

(4) مجموع الفتاوى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق أنوار الباز ــ عامر الجزار ، دار الوفاء، ط٣١ ، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م. ١٣/ ٣٤٢

(5) سورة ص ٢٤

وعن حقيقة التضمين ذكر السيد ياسين بن زين الدين العليمي في حاشيته على شرح التصريح على التوضيح ثمانية أقوال[1]:

الأول: أنه مجاز مرسل لأن اللفظ استعمل في غير معناه لعلاقة وقرنية.

الثاني: أن فيه جمعاً بين الحقيقة والمجاز لدلالة المذكور على معناه بنفسه، وعلى معنى المحذوف بالقرنية.

الثالث: أن الفعل المذكور مستعمل في حقيقته لم يُشرب معنى غيره ــ كما جرى عليه صاحب الكشاف ــ ولكن مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر المناسب بمعونة القرنية اللفظية.

الرابع: أن اللفظ مستعمل في معناه الأصلي، فيكون هو المقصود أصالة ، ولكن قصد بتبعيته معنى آخر ، فلا يكون من الكناية ولا الإضمار.

الخامس: أن المعنيين مرادان على طريقة الكتابة، فيراد المعنى الأصلي توصلاً إلى المقصود ، ولا حاجة إلى تقدير إلا لتصوير المعنى

السادس: أن المعنيين مرادان على طريق عموم المجاز.

السابع: أن دلالته غير حقيقية ولا تجوز في اللفظ، وإنما التجوّز في إفضائه إلى المعمول، وفي النسبة غير التامة.

---

(1) انظر النحو الوافي لعباس حسن، دار المعارف الطبعة ١٥، ٢/ ٥٧٨

الثامن: أنه لا بد في التضمين من إرادة معنيين في لفظ واحد على وجه يكون كل منهما بعض المراد، وبذلك يفارق الكناية فإنه أحد المعنيين تمام المراد، والآخر وسيلة إليه.

وذكر الصبان في حاشيته على شرح الأشموني: "التضمين النحوي هو إشراب كلمة معنى أخرى بحيث تؤدي المعنيين فيكون مقابل الظاهر التضمين البياني، وهو تقدير حال تناسب الحرف لأنا نمنع كون التضمين النحوي ظاهراً عن البياني للخلاف في كون النحوي قياسياً وإن كان الأكثرون على أنه قياسي" [1] ، وقال الأستاذ حسين والي [2]: "والتضمين مبحث ذو شأن في العربية وللعلماء في تخريجه طرق مختلفة، فقال بعضهم: إنه حقيقة، وقال بعضهم إنه مجاز، وقال آخرون: إنه كناية، وقال بعضهم إنه جمع بين الحقيقة والمجاز على طريقة الأصوليين، لأن العلاقة عندهم لا يشترط فيها أن تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، وقد وجدوا مخرجاً من هذا فقالوا: التضمين حقيقة ملوحة لغيرها".

والتضمين من المعدِّيات السبع التي عدَّها ابنُ هشام، فقال: "الأمور التي يتعدى بها الفعل القاصر [3] ، وهي سبعة: أحدها همزة أفعل، نحو (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ) [4].. إلى أن قال: والسادس

---

(1) حاشية الصبيان على شرح الأشموني ١/ ٤٦، على ألفية ابن مالك ومعه شرح شواهد العتيبي، تحقيق طه عبد الرؤوف المكتبة التوفيقية.

(2) هو أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وما نقله هو من جلسات المجمع – نشره عباس حسن في الجزء الثاني ص ٢٠٩ في كتابه النحو الوافي.

(3) يعني اللزوم.

(4) سورة الأحقاف ٢٠

التضمين، فلذلك عُدِّي (رحب)، و(طلع) إلى مفعول لما تضمنا معنى (وسع) و (بلغ)، قالوا: فَرِقْتُ زيداً، وسفه نفسه، لتضمنها معنى خاف وامتهن أو أهلك، ويختص التضمين من غيره من المعديات بأنه قد ينقل الفعل إلى أكثر من درجة ولذلك عُدِّي ألوت بقصر الهمزة بمعنى قصرت إلى مفعولين بعدما كان قاصراً وذلك في قولهم: لا آلوك نصحاً، ولا ألوك جهداً لما ضُمِّن معنى لا أمنعك، ومنه قوله تعالى: (لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً) [1]

لذلك نستطع القول بأن الفعل اللازم إذا ضُمِّن معنى المتعدي من الأفعال تكون تعديته قرينة للتضمين كما في قوله تعالى: (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ)[2] حيث تضمن (استبق) معنى (ابتدر).

وكذلك الفعل المتعدي إذا ضمن معنى فعل لازم فإن لزومه قرينة للتضمين كما في نحو: (سمع الله لمن حمده) حيث تضمن الفعل (سمع) المتعدي معنى فعل لازم، وهو (استجاب).

والتضمين هو أحد الحلول التي ترد النصوص التي جاءت على غير المعتاد إلى الأصل العام، فلا شك أن هناك غموضاً ولبساً ينتاب القارئ عندما يجد فعلاً قد تعدى بغير حرفه المعتاد كما في قوله تعالى: (بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ) [3] أو تعدى بحرف وهو يتعدى بنفسه كما في قوله تعالى (يخالفون عن أمره)

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام النحوي ــ تحقيق وشرح الدكتور/ عبداللطيف محمد الخطيب ــ السلسلة التراثية رقم (٢١) ــ الطبقة الأولى ــ الكويت ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م، ٥/ ٦٩٢، ٦٩٣.

(٢) سورة يس ٦٦

(٣) الإسراء (٤٧)

[1] أو تعدىٰ بنفسه وهو يتعدىٰ بحرف كما في قوله تعالىٰ: (كفروا ربهم) [2] ، أو يتعدىٰ لمفعول فتعدىٰ لمفعولين ، في نحو قوله تعالىٰ: (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً) [3] أو لازماً تعدىٰ لمفعول نحو قوله تعالىٰ: (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) [4] أو لمفعولين نحو قوله تعالىٰ: (لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً) [5] أو متعدَّياً فجاء لازماً نحو قوله تعالىٰ: (إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) [6] أو يتعدىٰ لمفعولين فإذ به يتعدىٰ للثاني بالحرف نحو قوله تعالىٰ: (وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) [7] في كل هذه الأحوال تبقىٰ الدلالة خافية واللبس محتملا، ووسيلة النحوي في الوصول إلىٰ أصل المعنىٰ، وما ترمي إليه النصوص هو أن يتعامل معها بالحذف أو الإضمار أو القياس أو التضمين.

---

[1] النور (٣٦).

[2] هود (٦٠)

[3] الأعراف (١٥٥)

[4] فاطر (١٠)

[5] آل عمران (١٨٨)

[6] يوسف (٤٣)

[7] الدخان (٥٤)

المبحث الثالث: صور تطبيقية للتضمين النحوي وأثره في تعدد التفاسير

تمهيد:

عندما نتعرض لدراسة التضمين النحوي في الأفعال الواردة في القرآن الكريم فإننا لا بد أن نسلّم بحقيقة مهمة، وهي أن تعدد آراء المفسرين من أرباب اللغة وعلماء الشريعة لمعنى الجملة ودلالتها ــ خاصة الجمل الفعلية ــ لهو خير دليل وأقوى برهان على التضمين، فاللفظة الواحدة التي تمثل بها الفعل تعددت دلالاتها، وتناوبت عليها المعاني، وهذا في السياق الواحد، فكيف إذا تعددت السياقات، واختلفت العبارات، فعندما نأتي لقول الله تعالى: (أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ)[1] نجد أن صاحب تفسير الجلالين ضمن الفعل معنى: تتبعون [2] بينما ضمن كل من الزمخشري [3] وأبو حيان [4] الفعل معنى (حضر) وذهب الطبري [5] والألوسي [6] إلى تضمين الفعل معنى (القبول) أي: أتقبلون السحر وترضونه وأنتم أصحاب عقول.

---

(1) سورة الأنبياء ٣

(2) تفسير الجلالين ، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ــ دار الحديث ــ القاهرة ط ١. (٣٢٢)

(3) الكشاف ٢/ ٥٦٢.

(4) البحر المحيط ٦/ ٢٩٧.

(5) جامع البيان ٩/ ١٧/ ٣

(6) روح المعاني ١٧/ ٩

هذه التضمينات لفعل واحد وهو (أتى) في سياق واحد، ولا يخفى أن المعنى المدرج في المعاجم للفعل (أتى) يتمحض للمجيء كما ذكر صاحب اللسان: الإتيان: المجيء أتيتُه أتْيًا وأُتِيًّا وإِتِيًّا وإِيتانًا ومأتاةً: جئتهُ [1] ــ وفيما يلي ستتعرض هذه الدراسة إلى صور تطبيقية للتضمين النحوي، وتكون الدراسة لهذه الصور كما يلي:

أولاً: ذكر الجملة موضع الشاهد الفعلي.

ثانياً: التضمين.

ثالثاً: الأثر النحوي، وتعدد التفاسير.

الصورة الأولى:

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [الحج / ٢٥]

أولاً: موضع الشاهد (يُرِد فيه بإلحاد)

ثانياً: التضمين: الإرادة هي نزوع النفس إلى شيء ما، والسعي في طلبه، و(أراد) فعلٌ متعدٍّ لمفعوله دون حروف، فتقول: أراد زيدٌ الطعام، ولم يُرِد الشرابَ. وقد تضمن الفعل في الآية الكريمة:

---

[1] لسان العرب مادة (أتي) ١/ ١/ ٢١.

معنى (يلتبس) أي: ومن يلتبس فيه بإلحاد [١] ، ومعنى (يَهُمّ) [٢]، والهم أبلغ من الإرادة، أي: ومن يَهُمُّ فيه بإلحادٍ، فاستُحق بذلك العذاب عند الإرادة، وجاء على معناه [٣] (الإرادة) والباء في كل من (بإلحاد)، و(بظلم) سببيه[٤] وهما حالان مترادفان، أو الثاني بدل من الأول، أو صلة له: أي ملحداً بسبب الظلم، والمفعول محذوفٌ متروك ليتناول كل متناول.

ثالثاً: الأثر النحوي، وتعدد التفاسير:

جاء الفعل (يريد) مجزوماً فعلاً للشرط بـ (مَنْ) وعلامة جزمه السكون وحذفت الياء لالتقاء الساكنين، ومن قال بأن الفعل على ظاهره بمعنى الإرادة فإن الباء في كلمة (بإلحاد) تكون إما سببية في معنى الحال (ملحداً) وإما زائدة (إلحاداً) ومن ضمَّن الفعل معنى (يلتبس) أو معنى (يَهُمُّ) فإن يُعَدِّي الفعل إلى مفعولين بحرف الجر الباء كنحو قولك: أهم زيدٌ بالذهاب) والتبس بشرك.

وبناءً على ما سبق فإن أوجه التفاسير للآية الكريمة تتعدَّد على النحو الآتي:

أولاً: ومن يُرد فيه إلحاداً بظلم (الباء زائدة).

ثانياً: ومن يلتبس فيه بإلحاد بظلم (يرد بمعنى يلتبس)

---

(١) البحر المحيط أبي حيان ٣/ ٣٦٣.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ٢١

(٣) تفسير الجلالين ٣٣٥.، البرهان للزركشي ٤/ ٢٥٣.

(٤) روح المعاني ٩/ ١٧/ ١٤٠.

ثالثاً: ومن يَهُمَّ فيه بإلحاد بظلم (يرد بمعنى يَهُم)

رابعاً: ومن يرد فيه حال كونه ملحداً ظالماً عُدُولاً عن الحقِّ (الباء سببية).

وقد أثرى التضمين المعنى العام والمعنى الدقيق للآية معاً فجمع للفعل (يريد) معنى الإرادة مع الطمع والهم والالتباس.

الصورة الثانية:

قوله تعالى: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ) [القصص/ ١٠]

أولاً: موضع الشاهد: (تبدي به).

ثانياً: التضمين: تضمن الفعل (تُبدي) في الآية الكريمة معنى (تُصرِّح) قال به الزمخشري [١] ومعنى (تُخبر، وتُعْلن)، ذكره الزركشي [٢]، وابن قيم الجوزية [٣]وجاء على ظاهره (تُبدي) بمعنى تظهر والباء زائدة، أو سببية والمفعول محذوف، أي: تبدي به القول، وهو قول السمين [٤]

---

[١] الكشاف ٣/ ١٣٧

[٢] البرهان ٣/ ٣٤١

[٣] الفوائد المشوقة : ٢٧

[٤] الفتوحات الإلهية : ٣/ ٣٣٨.

ثالثاً: الأثر النحوي وتعدد التفسير:

وقع الفعل (تبدي) متصدراً لجملة خبر (كاد)، وهو فعل متعدٍّ، فتقول يُبدي عمرو رأيه، وتُبدي سُعادُ موافقتها، وقد تعدىٰ الفعل هنا بحرف الجر (ب) وهذا علىٰ قولين:

الأول: تضمين الفعل معنىٰ (تصرح أو تخبر) فيصير متعدياً بحرف الجر الباء، وهو ما يعد لازماً عند أغلب النحاة.

الثاني: الفعل علىٰ ظاهره، واعتبار حرف الجر (الباء) حرفاً زائداً والمعنىٰ: تبديه.

الثالث: الفعل علىٰ ظاهره، (الباء) سببية، والمعنىٰ لتُبدي بسببه القول.

وبناءً علىٰ ما سبق فإن أوجه التفاسير للآية الكريمة تتعدد علىٰ النحو الآتي:

أولاً: إن كادت لتخبرهم بأنه ابنها وتصرح بذلك من شدة وجلها [1] لولا أن ربط الله علىٰ قلبها. (علىٰ التضمين)

ثانياً: إن كادت لتظهر بسببه القول، فتتكلم، لولا أن ثبتها الله وربط علىٰ قلبها (علىٰ عدم التضمين، واختلاف معنىٰ الباء)

---

(1) تفسير الخازن المسمىٰ لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ــ دار الفكر ــ بيروت / لبنان ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م . ٥/ ١٦٥.

ثالثاً: إن كادت لتبدي أي: يقع منها الإظهار لكل ما كان من أمره مصرحة به، أي: بأمر موسى عليه السلام من أنه ولدها [1]، وهو تفسير جمع بين الإبقاء على ظاهر معنى الفعل، وهو الإظهار، وبين التضمين، وهو التصريح، حيث جعله وكأنه مشتق نُصِبَ على الحال عاملاً في حرف الجر (الباء).

الصورة الثالثة:

قوله تعالى: (وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) [الإسراء: ٧٩].

أولاً: الشاهد: (يبعثك ربك مقاماً)

ثانياً: التضمين: تضمَّن الفعل (يبعثك) في الآية الكريمة معنى: (يُقيمك)، ذكر ذلك أبو حيان [2] والزركشي [3]، ومعنى: (يعطيك) ذكره سليمان العجيلي في الفتوحات الإلهية [4]

ثالثاً: الأثر النحوي وتعدد التفسير:

وقع الفعل (يبعثك) منصوباً بعد أن المصدرية، وهو فعلٌ متعدٍّ لمفعول به واحد، لكنه في ظاهر الآية قد تعدى إلى مفعولين، الأول الكاف من (يبعثك) والثاني (مقاماً) ومردُّ ذلك إلى:

---

(1) تفسير السراج المنير لمحمد بن أحمد الشربيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٣/ ١٢٩ .

(2) البحر ٦/ ٧٢

(3) البرهان ٣/ ٣٤١

(4) الفتوحات الإلهية ٢/ ٦٤٢

١ــ أن الفعل قد تضمن معنى يُقيمك، وعليه فإن كلمة (مقاماً) منصوبة على الظرفية، وهو قول الزمخشري [١]

٢ــ أن الفعل قد تضمن معنى (يعطيك ويمنحك) وعليه فإن كلمة (مقاماً) تعرب مفعولاً به ثانياً للفعل (يعطي).

وتؤول التفاسير إلى رافدٍ واحد، وهو تجلي معنى الإحسان والعطاء والمنح من الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم -صلى الله عليه وسلم- بالمقام المحمود، وذلك على كلا المعنيين: يعطيك، ويقيمك.

الصورة الرابعة:

قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) [الأعراف ١٨٧].

أولاً: الشاهد: (كأنك حفي عنها)

ثانياً: التضمين: حَفِيَ به ، حَفواً، وحَفاوةً: بالغ في إكرامه وتلطف به فهو حافٍ وحفيٌّ، وأحفى في السؤال: ألحف. والحفاوة بالفتح: المبالغة في السؤال عن الرجل، والعناية في أمره، تقول منه:

---

[١] البرهان ٣/ ٣٤١

حفيت بالكسرِ حفاوة وتحفيت به أي: بالغت في إكرامه وإلطافه [١] وهذا بالفعل يتعدىٰ إلىٰ معموله بحرف الجر (الباء) قال تعالىٰ: (إنه كان بي حفيًّ) [] معناه كان بي معنيًّا، وقال الفراء: معناه كان بي عالماً لطيفاً يجيب دعوتي إذا دعوته [٢]، وقدْ ضمَّن أبو حيان الفعل حفي في الآية الكريمة معنىٰ كشف، والتقدير: كأنك كاشف بحفاوتك عنها [٣] وضمَّنه الزمخشري معنىٰ (بليغ) أي: كأنك بليغ في السؤال عنها [٤] وقد ذكر أبو حيّان رأياً آخر، وهو أن (عنها) متعلق بـ (يسألونك) وصلة حفيّ محذوفة، أي: بها [٥]

وقال الآلوسي: وهو يتعدىٰ بالباء لكونه متضمناً لمعنىٰ بليغ في السؤال عنها حتىٰ أحكمت علمها. حفيٌّ عنها أي مبالغ في العلم بها. [٦]

ثالثاً: الأثر النحوي وتعدد التفسير:

---

[١] لسان العرب ٢/ ٩/ ٩٣٦

[٢] نفسه ٢/ ٩/ ٩٣٦

[٣] البحر ٤/ ٤٣٥

[٤] الكشاف ٢/ ١٣٤

[٥] البحر ٤/ ٤٣٥

[٦] روح المعاني ٣/ ٢٩٢

الفعل (حَفِي) فعلٌ لازمٌ عند النحاة لأنه يتوصل إلى معموله بحرف جر، وحرف الجر هنا هو (الباء) وقد تعدى الفعل هنا في هذه الآية إلى معموله بحرف جر مغاير، وهو (عن) لكن الوظيفة النحوية لم تتغير، فالفعل لا زال في حكم اللازم طالما أنه في حاجة إلى حرف جر ليصل إلى معموله.

وقد تعددت التفاسير بناء على تعدد المعاني للمشتق (حفي) وهو على وزن (فعيل) من الفعل (حفي) فقال بعضهم: يسألونك عنها كأنك حفيٌ بهم، وقال ابن عباس: قوله: يسألونك كأنك حفي عنها، يقول: كأنك بينك وبينهم مودة كأنك صديق لهم ــ وقال أبو مالك: كأنك قريب منهم، وذكر مجاهد: كأنك حفي عنها: استحفيت عنها السؤال حتى علمتها، وجاء عن الضحاك: كأنك عالم بها [1]

وعند أبي حيَّان: كأنك كاشف بحفاوتك عنها [2]

الصورة الخامسة:

قوله تعالى: (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمْ الأَخْسَرُونَ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [هود ــ ٢٣]

أولاً: الشاهد: (أخبتوا إلى ربهم)

---

[1] تفسير الطبري ١٣/ ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩

[2] البحر ٤/ ٤٣٥

ثانياً: التضمين: أخبت معناه خشع، ويتعدىٰ باللام، جاء في لسان العرب [١] أخبت ﷲ: خشع، وأخبت: تواضع، وكلاهما من الخبت، وفي التنزيل: فتخبت له قلوبهمْ فسَّره ثعلب بأنه التواضع، والإخبات الخشوع والتواضعْ ــ وقد ضمَّن الزركشي [٢] أخبتوا معنىٰ أنابوا، فعداه تعديته، وزاد عليه العزِّ بن عبدالسلام [٣] فقال: أخبتوا تضمن معنىٰ أنابوا، وتابوا ليفيد أنه جمع بين التوبة والتواضع. وضمَّنه الزمخشري معنىٰ (اطمأنوا) وانقطعوا إلىٰ عبادته بالخشوع والتواضع، قال الألوسي: [٤] (وأخبتوا إلىٰ ربهم) أي اطمأنوا إليه سبحانه وخشعوا له، وأصل الإخبات نزول الخبت، وهو المنخفض من الأرض ثم أطلق علىٰ اطمئنان النفس والخشوع تشبيها للمعقول بالمحسوس ثم صار حقيقة فيه، ومنه الخبيت بالتاء المثناه للدنيءْ.

إذن أصل الفعل أخبت: خشع، وقد ضُمِّن في الآية معاني: أناب وتاب واطمأن وانقطع إلىٰ عبادة ﷲ.

ثالثاً: الأثر النحوي وتعدد التفسير:

---

(١) لسان العرب ٢/ ١٤/ ١٠٨٧

(٢) البرهان ٣/ ٣٤١

(٣) الإشارة، ص ٥٥

(٤) روح المعاني ١٢/ ٣٤

في هذا الفعل لا تتغير الوظيفة النحوية من كونه لازماً عند النحاة لكنه يتعدىٰ باللام أصلاً، وبإلىٰ تضميناً. ولا يخفىٰ ما للآية من تفاسير تدور جميعها حول أصل واحد، وهو معنىٰ الخشوع والإنابة والاطمئنان لله تعالىٰ والتوبة إليه والانقطاع لعبادته.

١- قال الآلوسي [١]: اخبتوا إلىٰ ربهم أي اطمأنوا إليه سبحانه.

٢- وقال ابن عباس وقتادة [٢]: الإخبات الإنابة. وفي قول آخر لابن عباس نقله عنه معاوية عن علي يقول: خافوا، وقال آخرون معناه اطمأنوا[٣].

٣- وقال الصنعاني [٤]: وأخبتوا إلىٰ ربهم قال: الإخبات التخشع والتواضع.

٤- قال صاحب الفتوحات الإلهية: فإذا قلت: أخبت فلان إلىٰ كذا فمعناه اطمأن إليه، وإذا قلت: أخبت له فمعناه خضع وخشع.

وفي هذه الآية يعرض السياق صورة لصفة من صفات أهل الجنة وهم في مشهد من مشاهد يوم القيامة، وقد ركنوا إلىٰ خالقهم وتواضعوا له واطمأنوا إليه خاشعين من غير شك ولا قلق بل حالهم

---

(١) روح المعاني ١٢/ ٣٤

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ٢٩٠

(٣) تفسير الطبري ١٥/ ٢٩١

(٤) تفسير القرآن للإمام عبدالرازق بن همام الصنعاني ـ تحقيق الدكتور مصطفىٰ مسلم محمد ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ط ١ . ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م. ١/ ٣٠٤

النفس الهادئة والقلب الساكن والروح المستقرة، وهكذا جمع لنا التضمين إلىٰ المعاني المحسوسة ــ المنخفض من الأرض ــ كل المعاني النفسية التي تضمنها الفعل وهو ما يدلل علىٰ عناية العرب بألفاظها واهتمامها بالبيان والصنعة.

الصورة السادسة:

قوله تعالىٰ: (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) [الأعراف: ١٥٥].

أولاً: موضع الشاهد: (اختار موسىٰ قومه سبعين).

ثانياً: التضمين: جاء في لسان العرب: اختار مما يتعدىٰ إلىٰ مفعولين بحذف حرف الجر، تقول: اخترته من الرجال، واخترته الرجالَ، وفي التنزيل اختار موسىٰ قومه سبعين رجلاً لميقاتنا وليس هذا بمطرد[١]

والاختيار: الاصطفاء، وكذلك التخير، ولك خيرة هذه الإبل والغنم وخيارها، الواحد والجمع في ذلك سواء[٢] والمطرد تعدِّيه بحرف الجر (من) كما ذكر ابن القيم: اخترتُ: أصله يتعدىٰ بحرف الجر (من) لأنه يتضمن إخراج شيء من شيء[٣].

---

(١) لسان العرب ٢/ ١٤/ ١٢٩٩

(٢) لسان العرب ٢/ ١٤/ ١٣٠٠

(٣) بدائع الفوائد ٢/ ٥٦

وتعدِّي الفعل (اختار) هنا إلى معموله الثاني المتقدم (قومه) دون حرف الجر (من) إنما هو على سبيل التضمين، وجاء الحرف محذوفاً في هذه الآية لتضمن الفعل معنى فعل غير متعدٍّ كأنه (نخل قومه وميّزهم) فمن هنا أسقط حرف الجر والله أعلم كما أسقط في (أمرتك الخير) أي ألزمتك وكلفتك [١] وذكر الزمخشري: من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل [٢] وقال الألوسي: اختار بتعدّي إلى اثنين ثانيهما مجرور بـ (من) وقد حذفت هنا وأوصل الفعل، ونحوه قول الفرزدق:

منا الذي اختير الرجال سماحة وجودًا إذا هب الرياح الزعازع

وسبعين رجلاً مفعول أول، وأخر عن الثاني لما مرّ مراراً[٣]

وذكر أبو حيان [٤] أن اختار افتعل من الخير، وهو التخيُّر والانتقاء، وهو من الأفعال المتعدية إلى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر وهي مقصورة على السماع (اختار – استغفر – أمر – كنّى – زوّج – صدّق) ثم يُحذف حرف الجر ويتعدى إليه الفعل. اخترت زيداً الرجال

---

[١] بدائع الفوائد ٢/ ٥٦

[٢] الكشاف ٢/ ١٢١

[٣] روح المعاني ٩/ ٧٢

[٤] تفسير البحر المحيط ٤/ ٣٩٨

وذكر الدكتور محمد نديم فاضل أن الفعل (اختار) هنا مضمن معنى (تخذ) ليجعل القوم كلهم ممثلين في هؤلاء السبعين وهم شيوخهم وخيرتهم وخلاصتهم، ولم يجد موسى عليه السلام من يصلح للمهمة التي خرج إليها إلا هؤلاء السبعين، فاتخاذه لهم يغنيه عن سواهم. أما (نخل وميّز) فيما اختاره ابن القيم من التضمين فيتعدى لمفعول واحد. ولو سأل سائل: لِمَ جاء التعبير بلفظ اختار بدلاً من تخذ؟ لأجبتُ ليفيد معنى الخيرة في الاصطفاء والانتقاء، ثم إن معاني (افتعل): الاجتهاد كاكتسب: اجتهدَ في الكسب ــ ومعناه هنا أنه عليه السلام اجتهد في الانتقاء واختيار السبعين لتصلح هذه الخيرة حضور الميقات. فالتضمين جمع المعنيين.[1]

ثالثاً: الأثر النحوي وتعدد التفسير

في هذه الآية يظهر جلياً الأثر النحوي، فالفعل (اختار) يتعدى إلى مفعولين ثانيهما مسبوق بحرف الجر (من) فنقول: اختار زيدٌ عمراً من الطلاب ــ وعندما يحذف حرف الجر (من) فإن العلماء ــ كما سبق ذكره ــ على قولين:

الأول: يُضَمَّن الفعل معنى فعل آخر يستقيم معه التعدي إلى المفعول المباشر دون حروف جر، وهو مضمن هنا معنى (نخل وميّز) كما ذكر ابن القيم، ومضمن معنى الفعل (تخذ) عند الدكتور فاضل وهو يرمي بذلك إلى معنى أكثر عمقاً، أن هؤلاء السبعين مثلوا جميع القوم وأغنوا عنهم

---

(1) التضمين النحوي في القرآن الكريم ١/ ٣٢٨.

الثاني: يُجعل الفعل على أصله ومعناه (اختار) ويوجه عدم وجود حرف الجر بأن حذفه جائز ومستساغ ومسموع عن العرب كما حكى الفرزدق: (منا الذي اختير الرجال سماحةٌ)

وعليه فإن إعراب (قومه) اسم منصوب على نزع الخافض أي: من قومه [1] وهو رأي أكثر النحاة، ومن أعرب (قومه) مفعولاً أول، و(سبعين) بدلاً من بدل (بعض من كل) وحذف الضمير أي: (سبعين رجلاً) منهم احتاج إلى تقدير مفعول به ثان وهو المختار منه، فإعرابه فيه بعد وتكلف حكاه أبو حيان[2]

ولا يخفى أن من ضمن الفعل (اختار) معنى (تخذ) فإنه يُعرب (قومه) مفعولاً أول، و(سبعين) مفعولاً ثانياً.

أما عن أوجه التفاسير فإن التضمين يجعل السبعين الذين وقع عليهم الاختيار ممثلين للقوم ومغنين عنهم، فموسى حالها قد اتخذ القوم سبعين رجلاً ــ وأكثر المفسرين على أن (قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ) مفعولان حذف من أحدهما حرف الجر سماعاً [3].

الصورة السابعة:

---

(1) إعراب القرآن وبيانه ٣/ ٤٦٦

(2) تفسير البحر المحيط ٤/ ٣٩٧

(3) تفسير القرطبي ٧/ ٢٩٤ ، البحر المحيط ٤/ ٣٩٧ ، جامع البيان للطبري ١٣/ ١٤٠

قوله تعالى: (فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور: ٦٣]

أولاً: موضع الشاهد: (يخالفون عن أمره)

ثانياً: التضمين:

الفعل خالف فعلٌ متعدٍّ، فتقول خالف زيدٌ أخاه، وخالف عمرو أباه، فهو لا يحتاج إلى حرف كي يصل إلى مفعوله، وقد تعدى بحرف الجر عن ، هنا في هذه الآية وذلك على سبيل التضمين، قال الطبري: يخالفون عن أمره أي يُدبرون عنه معرضين [١] وضمنه القرطبي بمعنى الانحراف والمراوغة فقال: حمل على معنى ينحرفون عن أمره أو يروغون عن أمره لأنك تقول خالفت زيداً، ومثله قوله تعالى: (وكان بالمؤمنين رحيماً) حمل على معنى رؤوف في نحو قوله: (بالمؤمنين رؤوف رحيم) [٢] وذكر الألوسي معنى آخر فقال: عدّى يخالفون بعن لما في المخالفة من معنى التباعد والحيد كأنه قيل: الذين يحيدون عن أمره بالمخالفة ، وهو أبلغ من أن يُقال: يخالفون أمره [٣] ، وقيل معناه يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه [٤] وضمنه الزمخشري معنى (يصدُّون) فقال: ومعنى الذين يخالفون عن

---

[١] تفسير الطبري ١٩/ ٢٣١

[٢] تفسير القرطبي ٢/ ٣١٦

[٣] روح المعاني للآلوسي ١٨/ ٢٢٦

[٤] الكشف والبيان للنيسابوري ٧/ ١٢١

أمره الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون[1] وعلق صاحب كنوز قرآنية فإن قيل: لم قال: (يخالفون عن أمره) ولم يقل: يخالفون أمره؟ قلت: هكذا والله حلاوة القرآن ، فكان فعل (يخالفون) تضمن معنى فعل آخر وهو (يعرضون) فيكون سياق الآية: فليحذر الذين يخالفون ويعرضون عن أمر رسول الله فحذف الله كلمة (يعرضون) اختصاراً ، وذكر حرف الجر (عن) ليدل على المعنى فسبحان من هذا كلامه[2]

ثالثاً: الأثر النحوي وتعدد التفسير:

الفعل (خالف) من الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد، فتقول خالف زيدٌ عمراً لكنه بالتضمين في هذه الآية صار لازماً حيث ضُمِّن معنى فعل يحتاج إلى حرف الجر (عن) وقد ضمنه النحاة والمفسرون معاني عدة، وهي: يخرجون ويدبرون ويصدون ويروغون ويحيدون. فالأثر النحوي ظاهر بيِّن حيث انتقل الفعل من التعدي إلى اللزوم.

وتعددت الأوجه التفسيرية تبعًا لهذا التنوع في المعاني، فعند القرطبي، فليحذر الذين ينحرفون ويروغون عن أمره، وعند الألوسي: فليحذر الذين يحيدون عن أمره بالمخالفة، وهو معنى قريب مما

---

(١) الكشاف للزمخشري ٣/ ٢٦٥

(٢) كنوز قرآنية للدكتور هشام عبدالجواد الزهيري ــ المكتبة العصرية ــ الدار العالمية للنشر والتوزيع ط١ ١٤٢٩ ــ ٢٠٠٨م ١/ ٧، ٨

عند القرطبي، لكن عند الزمخشري اختلفت الدلالة، فقال: (يصدُّون عن أ مره، وعنىٰ بذلك المنافقين).

الصورة الثامنة:

قوله تعالىٰ: (إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً) [طه: ١٠٩]

أولاً:ا لشاهد: (رَضِيَ له قولاً)

ثانياً: التضمين: جاء في لسان العرب: ٰالرضا ضد السخط ... ورضيت عنك وعليك رضاً (مقصور) مصدر محض ، والاسم الرضاء، ممدود عن الأخفش، قال القحيف العقيلي:

إذا رضيت علي بنو قشير لعمــر اللهِ أعجبني رضـــاها

ولا تنبو سيوف بني قشير ولا تـمـضي الأسـنة في صفاها

عدَّاه بـ (علىٰ) لأنه إذا رضيت عنه أحبته وأقبلت عليهٰ [١]

وذكر القرطبي [٢] في تفسير هذه الآية: أن رضي له قولاً: أي رضي قوله. فجعل اللام زائدة، وقال أبو حيان [١]: (له) معناه (لأجله) وكذا في (رضي له) أي لأجله، وذهب الزمخشري [٢] والبيضاوي[٣] وسليمان العجيلي [٤]والآلوسي [٥] إلىٰ أن أذن له ورضي له: أي لأجله.

---

[١] لسان العرب ٣/ ١٧/ ١٦٦٣

[٢] الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤٧

هذا ما أُثر عن الأولين، لكن العين قد وقعت على كلام نفيس للدكتور محمد نديم فاضل حيث قال: [1]والذي تطمئن إليه النفس هو أن (الرضا) تضمن معنى السمع، ومعناه هنا القبول حيث تعدَّى باللام. أما إن يكون الرضا لأجل قوله فما أراها منسجمة مع السياق، فالله أذن له أن يشفع، ورضي له أن يقول، فالرضا حصل قبل أن يقول وليس من أجل ما سوف يقول، فشفاعته هذه معلاة له، شاهدة بفضله ورضوان الله عنه، وقبوله شاهد على علو قدره في حضرة المليك حيث يغمر النفوس جلالة، فتخشع له الأبصار وتعقد الألسنةَ خشيتُه ويُخيم الصمت الرهيب على الجميع، فالوجوه عانية، والألسنة تخافت والكلام بتحريك الشفاه همس واستسرار من هيبة الرحمن فلا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن وقبل له أن يقول، وكتب له القبول. فجمع التضمين المعنيين: الرضا وما فيه من العذوبة مصرحاً به، والقبول مدلولاً عليه بسياقه الشافع له؛ فأوحى بالغرضين وأثرى المعنى وأغناه، وجمع شعاعه وأبدى عن مكنونه، ولو جاء بغير هذه اللام لما خرج عن معنى فذِّ والذي هو الرضا وحسب[6]

ثالثاً: الأثر النحوي وتعدد التفسير

---

(1) تفسير البحر المحيط ٦/ ٢٨٠

(2) الكشاف ٢/ ٥٥٤

(3) أنوار التنزيل ٤٢٣

(4) الفتوحات الإلهية ٣/ ١١٢

(5) روح المعاني ١٦/ ٢٦٥

(6) التضمين النحوي في القرآن الكريم ١/ ٣٦٢ ، ٣٦٣.

(رضي) فعل ماضٍ، واللام بعده للتعليل، والتقدير (رضي لأجله) قولاً: مفعول به منصوب [1]، هذا هو الإعراب على كون الفعل على أصل معناه، أو على تضمينه معنى (سمع) بمعنى القبول، فلا خلاف في الإعراب، إلا أن الوجوه التفسيرية تتعدد ما بين رضي له قوله أي رضي من أجله القول في حال عدم التضمين، وبين سمِعَ سَماعَ قبولٍ قولَه، وذلك على تضمين الفعل رضي معنى (سمع).

[1] إعراب القرآن وبيانه ٦/ ٢٥٠ ، الجدول في إعراب القرآن ١٦/ ٤٢٦

الخاتمة:

الحمد لله على ما أتم النعمة، وأسدل العطايا، ووفق وهدى حتى انتهيت من هذا البحث اليسير، وإن كان من نتائج أذكرها في هذه الخاتمة فهي تتمثل في الآتي:

١ــ مصطلح التضمين مصطلح قديم تناوله المفسرون والنحاة الأوائل وعبروا به عن تحمل الأسماء والأفعال والحروف معاني جديدة غير ما تأصلت به عند علماء اللغة وثبت المعاجم.

٢ــ التضمين النحوي يؤَثِّر بصورة مباشرة في أغلب أحواله على تعدد الوجوه الإعرابية والدلالية التفسيرية للجملة العربية.

٣ــ التضمين في الأفعال يُثري العبارة ويمنحها حياة فوق الحياة ويسهم في اكتمال الصورة وإتمام المشهد التعبيري.

٤ــ التوجه إلى ظاهرة التضمين في الفعل عند مغايرة المسموع فيما يخص التعدي واللزوم أولى من تحميل بعض الحروف معاني حروف أخرى فقط.

٥ــ في السياقات القرآنية قد تجتمع المعاني المختلفة في آن واحد لتفضي إلى معنى آخر مكتمل البناء، ويكثر ذلك في مواطن تعدد القراءات والروايات.

٦ــ الفعل في العربية وغيرها من اللغات هو مصدر التعبير ودليل النشاط والحركة وعصب التركيب وهو الأساس الذي قامت عليه نظرية العامل.

قائمة بأهم المصادر والمراجع:

م	المصدر
المصدر الأول: القرآن الكريم	
١	الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، عالم الكتب، بيروت.
٢	الإشارة إلىٰ الإيجاز في بعض أنواع المجاز، طبعة قديمة لم أقف علىٰ تفاصيلها .
٣	إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفىٰ درويش، دار الإشارة للشؤون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق بيروت، ط ٤ ، ١٤١٥هـ).
٤	إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفىٰ درويش، دار الإشارة للشؤون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق بيروت، ط ٤ ، ١٤١٥هـ).
٥	أنوار التنزيل المعروف بتفسير البيضاوي، دار المعرفة – بيروت – لبنان.
٦	تفسير البحر المحيط لأبي حيان النحوي، مصر ١٣٩٨م.
٧	بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان. برهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ــ بيروت.
٨	التضمين النحوي في القرآن الكريم للدكتور محمد نديم فاضل ــ مكتبة دار الزمان للنشر

	والتوزيع ــ ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٥م ط ١
٩	تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة ط ١ .
١٠	تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخزان، دار الفكر، بيروت / لبنان ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
١١	تفسير السراج المنير لمحمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢	تفسير القرآن للإمام عبدالرازق بن همام الصنعاني، تحقيق الدكتور مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض ط ١، ١٤١٠هـ ١٩٨م.
١٣	تفسير القرآن للإمام عبدالرازق بن همام الصنعاني، تحقيق الدكتور مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض ط ١، ١٤١٠هـ ١٩٨م.
١٤	توثيق على مهمات التعريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي ــ دار الفكر المعاصر ــ بيروت، دمشق ط ١ ١٤١٠هـ تحقيق د. محمد رضوان الداية.
١٥	جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، الناشر مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١٦	جامع البيان للطبري، دار الحديث، القاهرة، دون ط، دون ت .

١٧	الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيس، دار الكتب المصرية، القاهرة ط ٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
١٨	الجدول في إعراب القرآن لمحمود عبدالرحيم صافي ــ دار الرشيد مؤسسة الإيمان ــ دمشق ط ٤ ، ١٤١٨هـ.
١٩	الجنى الداني في حروف المعاني للحسن المرادي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط ١ ١٩٩٢ دار الكتب العلمية بيروت.
٢٠	دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٤م
٢١	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين الألوسي، دار الفكر ــ بيروت.
٢٢	سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني ــ دار القلم، دمشق ط ١ ١٩٨٥م، تحقيق د/ حسن هنداوي
٢٣	الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان العجيلي المشهور بالجمل، دار الفكر.
٢٤	الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم الجوزية مكتبة المتنبي ــ القاهرة.

٢٥	الكشاف لجار الله الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١ ١٩٧٧م.
٢٦	الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ــ دار إحياء التراث العربي بيروت ــ لبنان ط ١ ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م ، تحقيق أبي محمد بن عاشور.
٢٧	كنوز قرآنية للدكتور هشام عبدالجواد الزهيري، المكتبة العصرية، دار العالمية للنشر والتوزيع ط ١، ١٤٢٩ ــ ٢٠٠٨م.
٢٨	لسان العرب لابن منظور ــ دار المعارف.
٢٩	اللمع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني – دار الثقافة – الكويت ١٩٧٢ .
٣٠	مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام النحوي، تحقيق وشرح الدكتور/ عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية ط ١ الكويت ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م.